

صفحات من تاريخ بيروت في وثيقة عمرها ثمانمائة عام

كميل عيد*

✠ In nomine Patris et Filii et Spiritus Sancti Amen

Horum sit omib; presentib; & futuris. ego Johs de Jbelino dei gra beriv; dñs. dono concedo & confirmo omib; Januensis
& dictis Januensis libertatem in beriv; de omib; reb; q; p cartnam beriv; adduxerunt. & i beriv; miserunt. ut sint liberi &
immunus ab omi jure & consuetudine. & si ea que p cartnam beriv; miserunt. eadem circa cartnam tenere voluerint. similiter
sint liberi & immunus ab omi jure & consuetudine. Insuper et de omib; mercib; q; in fundo beriv; emerunt. sint liberi et
immunus ab omi jure & consuetudine. & de rectoria in quocunq; Castello miserunt illam mercē. q; de fundo beriv; emerunt.
Et omia castella Januensis q; in beriv; applicaverunt. sint liberi & immunus de Ancoragia. Et etiam dono & concedo sup
notatis Januensis & dictis Januensis Curiam liberam i beriv; sicut habent i Accor. & i vito. & in p-ano Iherosolimitano.
& Domos q; fuerunt Rubales curi. in illo latu quo eis habetur & tenebat in felicitate lce barthe unigenit. Dono etia
& concedo eadem Januensis & dictis Januensis. unū diem i ebdomada balneandi i balneo qd est ante Castellum. ad die
Joul. Et si forte contingat qd aliqui Januensis michi commiserint vel alicui mox homini rapiendo majore retinere. qd ego
nullum aliu Januensis possim accusare in oculis suis in pona. preter malefactores. Et si forte eueniat qd aliquod Castellu
Januensis tractum sint in tñ beriv; qd Castellum & homines & omia q; in Castello fuerint sint salva & secuta. Hanc
figuram libertate prenotam. & donu & concessione q; ego feci pntis Januensis & dictis Januensis. in plena dñi Philippi em
brac. & dñi Amey tertia pte feci. qui tunc tempore erant Consules in terra Syrie. Et itur h omia sicut scripta sunt
i hoc privilegio firma & rata i ppetuu pmaneat. ego supnotatus Johs de Jbelino beriv; dñs. preter privilegia hanc precepit.
Hic meo piumbo firmavi. Testes huius rei sunt. Gerardus de ramay. Thomas de rete. Gervilius brehan. Clemens
de abel. Arthurus de nery. Ewardus liece. Gualterius hudel. Henricus lepinare. Simo grimaud. Actum Anno ab incarnatione
dñi. m. cc. vij. mense Novemb;.

عُثِرَتْ في موقع «الأرشيف السريّ لمدينة جنوى» «أو جنوة (Genoa الإيطالية على وثيقة قديمة تعود إلى سنة 1221 تحتوي على معلومات قيّمة حول بيروت في عهد الفرنجة. تذكر الوثيقة الامتيازات التي منحها يوحنا إيبيلين Iohannes de Ibelino ، صاحب بيروت، لأهل جنوى مثل حرية التجارة وإعفاءات ضريبية والحقّ في تطبيق قوانينهم في محكمة خاصّة وحقّ الاستخدام الحصريّ للحمّام العامّ يومًا في الأسبوع، بالإضافة إلى ضمان سلامة الجنوبيّين في حال تحطّم إحدى سفنهم أمام شواطئ بيروت .

قبل تقديم الترجمة الكاملة للوثيقة (وهو ما لم يقم به أحد من قبل، على حدّ علمي) أودّ الإشارة إلى أنّ مدينة جنوى، عدا كونها الموطن الأصليّ لعائلة أمبرياكو التي كانت تحكم آنذاك جبيل، كانت قد أقامت علاقات تجارية مع مدن عديدة على الساحل الشرقي للمتوسّط ونجحت في الحصول على امتيازات من عدّة إمارات ومدن خاضعة للفرنجة مثل أنطاكية وطرابلس وصور وعكا. أشير أيضًا إلى أنّ الطرفين قاما بعد سنتين من تاريخ الاتفاقية الأولى، أي في عام 1223، بعقد اتفاقية ثانية منح فيها صاحب بيروت الجنوبيّين إعفاءات ضريبية أخرى، باستثناء الرسوم على النبيذ والزيت والقمح، كما وهبهم ملكيّة فرن «في الحرش المطلّ على الأسوار». وتذكر المصادر التاريخية أنّ جنوى قرّرت عام 1222 ترسيخ علاقتها بأسرة إيبيلين، التي حكمت بيروت لمدّة سبعة وثمانين عامًا (من 1204 إلى 1291)، بعد أن اختلف تجّارها مع أهل مدينة بيزا القاطنين في عكا فقرّروا تحويل تجارتهم ورساميلهم من تلك المدينة إلى بيروت .

ترجمة النصّ عن الأصل اللاتينيّ

بسم الآب والابن والروح القدس، آمين.

فليكن معلومًا للجميع، حاضرًا ومستقبلًا، أنّي أنا، يوحنا إيبيلين، صاحب بيروت بنعمة الله، أهب وأمنح وأثبتّ لجميع الجنوبيّين ومن يُسمّون بالجنوبيّين الحرّية في بيروت في ما خصّ كلّ ما يأتون به إلى ميناء(1) بيروت ويرسلونه إلى بيروت بأن يكون معفيًا من كلّ الحقوق والأعراف(2)؛

وإذا ما أرسلوا هذه الأشياء إلى ميناء بيروت وأرادوا بعد ذلك إخراجها من الميناء، فليكونوا أحرارًا ومعفيّين من جميع الحقوق والأعراف؛

وبشكل مماثل، فإنّ جميع البضائع التي يكونون قد اشتروها في بيروت ويودّون إخراجها من الميناء تكون معفيّة من جميع الحقوق والأعراف، ومن حقوق الأطراف الأخرى في أيّ مركب يستعملونه لذلك الغرض؛

وتلك البضائع التي يأخذونها من منطقة بيروت وكلّ مراكب الجنوبيّين التي ترسو في بيروت فلتكن حرّة ومعفيّة من حقوق الرسو؛

كما أهب وأمنح الجنوبيّين المذكورين أعلاه ومن يُسمّون بالجنوبيّين محكمة حرّة في بيروت كما هو حالهم في عكا وصور ومملكة القدس؛

كما أهب على حالها المنازل التي كان روبالدو كورفو قد امتلكها واحتفظ بها، في عيد القديسة بربارة العذراء؛

كما أهب وأمنح أبناء جنوى أنفسهم ومن يُسمّون بالجنوبيّين يومًا واحدًا في الأسبوع للاستحمام في الحمّام الواقع قبالة القلعة، وذلك في أيّام الخميس؛

وإذا ما ارتكب بعض أهالي جنوى جرائم ضدّي، أو قاموا باختطاف أحد رجالي خلال إبحاره، فليس من حقّي الردّ بالمثل ضدّ أيّ كان من أهل جنوى، لا في أملاكه ولا في شخصه، سوى المذنبين؛

وإذا ما تحطّمت سفينة من سفن جنوى في بلاد بيروت، فلتكن السفينة وجميع من كان عليها من رجال وأغراض في أمان وسلام؛

إنّ هذه الحرّية المذكورة أعلاه، والعطيّة والامتيازات، قد قدّمْتُها للجنويّين المذكورين أعلاه ولمن يُسمّون بالجنويّين بحضور السير فيليبوس إمبرياكوس والسير أميكوس ستريابورشي، اللذين كانا حينها قنصلين في بلاد سوريا؛

ولكي تظلّ كلّ هذه الأمور المكتوبة في هذا الامتياز ثابتة ومُصادق عليها إلى الأبد، أمرتُ، أنا يوحنا إيبيلين، صاحب بيروت المذكور أعلاه، بمنح الامتياز شخصياً ومهرته بختمي الرصاصي .

والشهود على هذا الحدث هم رينالدوس دي ميمارس، وتوماس دي أورثيل، وتيريكوس بريبان، وكليمنس دي جيبيلي، وماثيوس دي نيفين، وجيراردوس ليشي، وغلوتيريوس هارديل، وهنريكوس ليبنغر، وسيمون غريمود .

صدر عام ١٢٢١ من تجسّد ربنا، في شهر تشرين الثاني.

(1) الكلمة اللاتينية الواردة في النصّ هي cathena في إشارة إلى السلسلة التي كانوا يغلقون بها الموانئ في الماضي والتي أصبحت في ما بعد مرادفة لكلمة ميناء .

(2) الكلمة اللاتينية هي consuetudine وتعني العُرف، في إشارة إلى الضرائب والرسوم غير المحدّدة كتابةً .

**

* باحث وصحافي لبناني مقيم في ميلانو - إيطاليا